

السيدة زينب

السيد جواد شبر

ألا زر بقعة بالشام طابت لزینب بضمة لأبي تراب
فقل للمذنبین أن ادخلوها تكونوا آمنین من العذاب

لم أكن بالذي أرجأ مطالعة (العرفان) عن يوم وصوله ولكن حلول الشهر الحرام «شهر رجب» وموجة المهرجانات الدينية وقيام مواسم للخطابة أخواني أكثر من شهر ، ومذ سمح الوقت بفترة مكنتني من التروح في هذه الجنية النظرة رأيت في بعض ما رأيت كلمة فضيلة الشيخ موسى عز الدين حول سيدتنا زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولما كان فيها من الخط ما لا يمت الى الحقيقة بصلة أرسلت هذه الكلمة حرصاً على بيان الواقع ونرجو من الله أن نكون متبئين عند الخوض في مثل هذه المواضيع .

نقاشنا معك - أيها الأخ - من ناحيتين ، الأولى انكم أرسلتم تزويج أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) من الخليفة عمر بن الخطاب ارسال المسلمات مع انها من القضايا التي اضطرب فيها التاريخ وحسبك أن تقف على (المستدرك على الصحيحين في الحديث) للحافظ الكبير الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٤٢ عندما يروي زواج أم كلثوم بنت علي (ع) من عمر ويأتي الذهبي في الذيل فيقول قلت منقطع ، ومتى علمنا أن الخبر إذا لم يصححه (الذهبي) سقط عن الاعتبار أيقنا بسخافة هذه الرواية .

وهنا أستطيع الإصغاء من فضيلة الكاتب لنقع على الحقيقة ، ذكر ابن عبد البر المالكي في (الاستيعاب) ان عون بن جعفر بن أبي طالب المولود على عهد رسول الله ﷺ قد استشهد في (تستر) ولا عقب له ، وذكر ابن حجر العسقلاني الشافعي في (الإصابة) ج ٨ ص ٢٧٥ زواج أم

كلثوم من عمر قال : وبعد وفاة عمر تزوجها عون ثم أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده ، وهذه الرواية إذا نظرتموها في نفس الكتاب عرفتكم اضطرابها ثم يروي في ج ٥ ص ٤٥ ان عون بن جعفر استشهد في (تستر) وذلك في خلافة عمر وماله عقب .

ويدورنا نسأله إذا كان عون بن جعفر قتل يوم تستر ولا كلام من أن يوم تستر كان في خلافة عمر بن الخطاب وفيه أسر الهرمزان وكان موت عمر بعد يوم تستر بسبع سنين فكيف تزوجها عون بعد عمر .

وها نحن نورد كلام شيخنا الجليل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ في جواب المسألة العاشرة من المسائل السرودية لما سأله السائل عن حكم ذلك التزويج - وكلامه الفصل - وهذا نصه :

إن الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين ابنته من عمر غير ثابت ، وطريقه من الزبير بن بكار وطريقه معروف لم يكن موثقاً به في النقل وكان متهماً فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين فيما يدعيه عنهم علي بن هاشم ، وإنما نشر الحديث إثبات أبي محمد الحسن بن يحيى صاحب النسب ذلك في كتابه فظن كثير من الناس انه حق لرواية رجل علوي له ، وإنما هورواه عن الزبير كما روى الحديث نفسه مختلفاً فتارة يروي أن أمير المؤمنين تولى العقد على ابنته ، وتارة يروي ان العباس تولى ذلك ، وتارة يروي انه لم يقع العقد إلا بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم ، وتارة يروي انه من اختيار وايشار . ثم بعض الرواة يذكرون ان عمر أولدها ولدأ سماه زيدا ، وبعضهم أن لزيد بن عمر عقبا ، ومنهم من يقول انه قتل ولا عقب له ، ومنهم من يقول انه وأمه قتلا ، ومنهم من يقول ان أمه بقيت بعده ، ومنهم من يقول ان عمر أمهر أم كلثوم أربعين ألف درهم ، ومنهم من يقول أمهرها أربعة آلاف درهم ، ومنهم من يقول كان مهرها خمسمائة درهم ، وبدء هذا القول وكثرة الاختلاف يبطل الحديث ولا يكون له تأثير على حال انتهى كلامه .

وعقيدتي انكم إذا غربلتم الأخبار تبين لكم أن أم كلثوم لم يتزوج بها غير ابن عمها عون ابن جعفر بن ابي طالب حتى قتل عنها بكرلاء وكانت هي أيضاً قد جاءت الى طف كربلاء مع أخيها سيد الشهداء وقد توفيت بالمدينة بعد رجوعها من وقعة الطف كذا ذكر عدة من المؤرخين .

الناحية الثانية تعيين قبر زينب الكبرى ويظهر أنكم مقتنعين برأي الشيخ النقدي رحمه الله وهو ممن عاصرناه وساجلناه وليس لنا أن نقف أمام آرائه مكتوفي الأيدي على أن كتابه هذا من أقل مؤلفاته قيمة . وهذا أيضاً مقتنع برواية العبيدي ومطمشن إليها تلك الرواية التي جاء فيها

ما يتنافى وكرامة أهل البيت (ع) منها قوله في ص ١٧ لما قام عبد الله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد بلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام فبلغ ذلك عمرو بن سعيد فكتب إلى يزيد فأمره ذاك أن يفرق البقية الباقية من آل البيت في الأقطار والأمصار وطلب الوالي إليها أن تخرج إلى مصر - ويراها هناك عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري بعد قدومها مصر بأيام ويقول : فوالله ما رأيت مثل وجهها كأنه شقة قمر ، إن التي تتحدث عنها هي مخدرة علي بن أبي طالب وعقيلة الهاشم ومعنى العقيلة هي الكريمة في قومها والمخدرة في بيتها أهذه هي التي يراها كما يصف فأين اذن مجد هاشم وشممهم : جفت عزائم فهر أم ترى بردت منها الحمية أم قد ماتت الشيم

ولا تنسى انخذال يزيد بعد يوم الطف وكيف كان يستتر من عارها ويعزوها إلى ابن مرجانة ويوصي جنود (الحرة) بعدم التعرض لعلي بن الحسين السجاد وأن تكون داره مأمناً أترأه يعيدها جذعة بتفسيره عقيلة بني هاشم .

ثم إذا علمنا أن أكثر ضرائح أهل البيت ومزارات الشيعة يأخذها الخلف عن السلف وانهم أعرف بآثار ساداتهم (وأهل البيت أدري بما فيه) أيقنا بنسبة بقعة الشام للسيدة الطاهرة تقول صاحبة (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) ٢٣٣ أن للسيدة زينب مقامين أحدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصاً من الشيعة ، وما إقبال الشيعة على هذا المزار دون غيره إلا لأنهم أخذوه بالتواتر وهاك طائفة من أقوال عظمائنا ومحققينا ثم لك الحكم بعد التأمل فيها :

١ - العلامة الكبير ثقة الاسلام السيد حسن الصدر قدس الله نفسه الزكية قال في (نزهة أهل الحرمين) زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام وكنيتها أم كلثوم قبرها في قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف ، جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان إلى الشام سنة المجاعة ليقوم عبد الله بن جعفر فيها كان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضي المجاعة فبأت زينب هناك ودفنت في بعض تلك القرى . هذا هو التحقيق في وجه دفنها هناك وغيره غلط لا أصل له فاغتنم فقدوهم في ذلك جماعة فخطبوا خطب العشواء انتهى .

٢ - معالي العلامة البهائية السيد هبة الدين الحسيني رحمه الله قال في كتابه (نهضة الحسين) ما نصه : جاء في (الخيرات الحسان) وغيره أن جماعة أصابت المدينة فرحل عنها بأهله عبد الله بن جعفر رحمه الله إلى الشام في ضيعة له هناك ، وقد حمت زوجته زينب من وعثاء

السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول ثم توفيت على اثرها في نصف رجب سنة ٦٥هـ ودفنت هناك حيث المزار المشهور .

٣ - العلامة الثبت السيد جعفر بحر العلوم أيده الله شيخ الأسرة في عصرنا قال في كتابه (تحفة العالم) بعدما ذكر البقعة الزينية خارج الشام ما نصه : ونقل بعض الموثقين عن أستاذه المحدث النوري رحمه الله انه وقع قحط عظيم في المدينة وان عبد الله بن جعفر انتقل الى الشام فراراً من القحط ، ومن قصده الرجوع الى المدينة بعد ارتفاع القحط عنها وكانت زينب معه فاتفق انها مرضت في أيام استقامتها في الشام في القرية التي فيها المزار الآن فماتت هناك في ضيعة في تلك القرية انتهى .

وفي الطراز المذهب في أحوال زينب يقول الذي يظهر من الأخبار ان قبرها بالشام وكذلك الإمام الشعراني في كتابه (لوائح الأنوار في طبقات السادة الأخيار) طبع بولاق قال : توفيت زينب بنت علي بن ابي طالب بدمشق الشام في سنة أربع وسبعين هجرية فعلى هذا يكون عمرها يوم وفاتها سبعاً وستين سنة انتهى .

إن عظمة المزار في مصر ترجع الى عهد الفاطميين الذين يفتخرون بولائهم لأهل البيت تقوية لمركزهم ثم لتعلق المصريين بآل الرسول صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين لأقل نسبة صحت أم لم تصح وحتى انك ترى قبوراً مشادة لرقية ولسكينة ولزينب عدة مزارات وهكذا . ولعل من عناية الله بشأن هذه السيدة الطاهرة ان تتعدد مزاراتها إعلاء لقدرها وتخليداً لعظمتها وأخيراً يهdy لها القفص القضي تقريباً الى الله بها :

قوم لهم فضل ومجد باذخ	يعرفه	المشرك	والموحد
قوم أتى مديهم	هل شك في ذلك	إلا ملحد	
قوم لهم في كل أرض مشهد	لا بل لهم في كل قلب مشهد		

النجف الأشرف جواد شبر

